

"في التسليم للعترة الطاهرة"

أسلوبا القسم والعطف وأثرهما في اتساق النصّ
في الصحيفة الرضوية وانسجامه .

The style of the department and the kindness and
their effect on the Coherence and Cohesion of the
Al-Sahifah Al-Redhawiyah

أ.م.د. ميثاق عباس الخفاجي

Asst. Prof. Dr Mithaq Abbas Al-Khafaji

العراق / كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة

Iraq/Faculty of Education for Girls / Kufa University

م.م. رويدة حسين كامل

Asst. Lect. Ruweida Hussein Kamel

العراق / جامعة الفرات الأوسط / المعهد التقني / النجف الأشرف

Iraq /Middle Euphrates University

Technical Institute/Najaf Al-Ashraf

mithaqa.alkhafaji@uokfa.edu.iq

Zakash25h@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي

Turnitin - passed research

مُلخَصُ البَحْثِ:

يحتوي هذا البحث على دراسة تحليلية لأثر لبيان أثر أسلوب القسم والعطف في اتساق أدعية الصحيفة الرضوية وانسجامها، إذ يُمثّل عنصر الاتساق المحرك الأساس الذي يضمن تماسك النص وتلاحمه، وأما الانسجام فهو أحد العناصر المهمة والرئيسة التي تحقق النصية للنص وتضمن استمراريته الدلالية، ويسهم في كشف عن القيم الدلالية والجمالية فيه، ونتيجة لتعاقد أدوات الاتساق وآليات الانسجام يتحقّق التماسك النصي، وانطلاقاً من هذا الكلام فقد تعاقد أسلوب العطف بوصفه وسيلة اتساق، والقسم بوصفه وسيلة انسجام في ربط معاني النص بعضها مع البعض على نسقٍ واضحٍ ومميّزٍ وأخرجت النصوص بحلّة من الترابط والتلاحم.

الكلمات المفتاحية: الاتساق، الانسجام، الصحيفة الرضوية، العطف، القسم

Abstract:

This research contains an analytical study of the impact of the method of division and addition in the supplication of the Al-Sahifah Al-Redhawiyah , as the element of consistency represents the main engine that ensures the cohesion of the text. Moreover the harmony is one of the important key elements that achieves the continuity and the semantic and aesthetic values in the text. In the light of the cooperation of the consistency instruments and harmony mechanisms the textual coherence is achieved. In so doing , the method of addition comes as a means of consistency and as a means of harmony in relating the meanings of the text with each other in a clear and distinctive way , then the texts come to the fore with a state of consistency and cohesion.

Keywords: Consistency, Harmony, cohesion , Al-Sahifah Al-Redhawiyah , division , addition

المقدمة:

جاء البحث لبيان أثر العطف والقسم في تحقيق انسجام النص الرضوي واتساقه، والصحيفة الرضوية تمثل أحد أهم الكنوز المعرفية، والروحية، والعبادية التي تركها ثامن حجج أهل البيت عليه السلام، فكانت تمثل صوراً متنوعة في الأدعية، والمناجاة، والاستغفار، والتسبيحات، والأحراز، تختلف بحسب مقامها وحال الإمام الرضا عليه السلام، هذا من جانب، وتمثل انعكاساً لما أراد إيصاله النبي محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام، وجاءت امتداداً لهم من جانب آخر، فهي تمثل مرآة صافية تتجلى فيها حقيقة الانوار القدسية، والمعارف الالهية، وقد جمع هذه الصحيفة (السيد محمد باقر مرتضى الموحد الابطحي الاصفهاني)، ونشرتها مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام في قم المقدسة سنة (١٤٢٠ هـ) في مطبعة (جابخانة بزرك قرآن كريم).

وركز البحث على مواطن ورود أسلوب العطف وأسلوب القسم في النص الدعائي على وجه الخصوص؛ لأنها برزت بروزاً واضحاً ومميز في نصوص الصحيفة الرضوية، فجاء البحث مقسماً على محورين، الأول منها بعنوان: العطف وأثره في اتساق النص الرضوي، والثاني بعنوان: القسم وأثره في انسجام النص الرضوي، تسبقها مقدمة تمهيدية موجزة عن مصطلحي الاتساق والانسجام، وتعبها خاتمة بأبرز نتائج البحث.

المحور الأول: العطف وأثره في اتساق النص الرضوي

أ- مصطلح الاتساق:

يُعدّ الاتساق من المصطلحات الحديثة الظهور، ذات الجذور العربية القديمة. إذ يمثّل الاتساق موضوعاً أساسياً في الدراسات اللسانية الحديثة^(١)، فاشتهر هذا المصطلح في الدراسات النصّية على تنوعها ودلت عليه مصطلحات عديدة منها: (السبك، والتنضيد، والانسجام، والتناسق، والتضام)، حتى أن الاختلاف فيه لم يقف على حدود الترجمة فحسب بل تعداه بعض الأحيان إلى اختلاف في الضبط المفهومي والإجرائي^(٢). فهو مفهوم جديد دخل إلى مجال اللغة والنقد الأدبي بالاستناد إلى علم اللغة مع بدء المدارس اللغوية بالظهور على يد دي سوسير^(٣).

ويُعدّ الاتساق أهم المعايير السبعة التي نادى بها العالم (دي بو جراند) في كتابة (النص والخطاب والإجراء) إذ يمثّل معياراً أساسياً للحكم على توافر صفة النصّية في النص. ويُعرّف الدكتور (محمد الشاوش) الاتساق ((بكونه مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة بعضها ببعض))^(٤).

أما الدكتور محمد خطابي فيُعرّف الاتساق بأنه ذلك ((التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنص / خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته))^(٥).

وعلى هذا فالإتساق مرتبطٌ بالتماسك النصي للنص ومرتبٌ بالوسائل والروابط الصورية والسطحية وتمثّل مهمته الأولى في تحقيق الالتحام والترابط بين أول النص وآخره مع الحفاظ على العلاقة بين المستويات اللغوية للنص كافة. فهذا الترابط هو الذي يحقق للنص صفة الاستمرارية^(٦). وهذا الترابط في النص يتحقق من خلال أدوات تحقق وتؤسس العلاقات المتبادلة بين التراكيب، وهذه العلاقات عبارة عن

روابط لغوية شكلية دورها الأساس هو تحقيق اتساق النص وتماسكه^(٧). ويعرّف الاتساق بحسب رأي (هاليداي ورقية حسن) على أنه ((مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص))^(٨). ولكنه لم يقتصر على المستوى الدلالي فقط بل تعداه إلى المستوى النحوي والمعجمي فيتناول الضمائر، والحذف، والاستبدال والوصل، والاتساق المعجمي، وغيرها^(٩).

ويُعد الاتساق مهماً في النصوص لفهم المتلقي، وحتى تلقى تلك النصوص القبول والانتشار على المستوى المحلي والعالمي^(١٠).

من هذا نجد أن الاتساق يمثل أحد أبرز وأهم المعايير النصية وأكثرها شيوعاً في النصوص خاصة أنه يشترك مع قواعد الجملة ويتجاوزها من أجل إعطاء وصف عام لظاهر النصوص، فيستقي المستوى المعجمي والنحوي والدلالي كل ما يتطلبه النص^(١١). وأهم ما يكمن ذكره هو أن الاتساق عملية لا تتحقق ولا تكتمل بوجود عنصر واحد من عناصره وإنما ((بورود العنصر في سياق العناصر المتعاقبة هو الذي يهيئ الاتساق ويعطي المقطع صفة النص، إن الاتساق يعتبر شرطاً ضرورياً وكافياً للتعرف إلى ما هو نص وعلى ما ليس نصاً، وتشكل متتالية من الجمل نصاً شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات أو على الأصح بين عناصر هذه الجمل علاقات وهذه العلاقات قبلية أو بعدية لفظية أو بيانية. . .))^(١٢)

ب- أدوات الاتساق:

اختلف علماء النص في الأدوات المحققة للتماسك النصي وتعددت آراؤهم، ولكن يمكن القول بأدوات رئيسة تشترك بينهم. ومن أبرز العلماء الذين تكلموا عن الأدوات (هاليداي ورقية حسن)^(١٣). إذ يريان أنّ وسائل الاتساق خمس هي: (الإحالة، الحذف، الاتساق المعجمي، الاستبدال، الوصل)^(١٤). وإن ((توافر أدوات

الاتساق علامة على إمكانية انسجام الخطاب لدى المتلقي، وسهولة الوصول إلى الفكرة، ولكن توافر هذه الأدوات مرهون بالدلالة الجامعة التي تقود إلى النصية))^(١٥). وإن توفّر هذه الأدوات في نصٍ ما يُعده نصّاً متسقاً يمكن تمييزه عن سواه من (اللانص) ^(١٦). والوسائل الاتساقية ((كثيرة وعملية تحديدها ليس بالأمر الهين وطريقة استخراجها من النصوص يجب أن تستند إلى معارف مترابطة. . . ولكن الوسائل الأكثر دوراناً وتأثيراً في تحقيق الاتساق النصي في العربية هي الإحالة والحذف والوصل والاتساق المعجمي))^(١٧). فتُعد هذه الأدوات هي الأكثر اسهاماً في التحليل النصي والأكثر شيوعاً^(١٨).

ج- أسلوب العطف

شغلت حروف العطف حيزاً كبيراً في نصوص الصحيفة يفوق نظيرتها من الأدوات الأخرى، فكانت حروف العطف تشكّل الجزء الأكبر من الأدعية فدخلت في (خمسة وسبعين) نصّاً دعائياً من أصل (مئة وأربعة) فتنوعت هذه الكثرة بين (الواو، والفاء، وثم، وبل). رغم أن حضور (الواو) كان طاعياً على بقية حروف العطف. والعطف هو: ((لِيُ الشَّيْءِ والالتفاتِ إِلَيْهِ يُقال عطفُ العودِ إذا ثنيتَه وعطفت على الفَارسِ التفتَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِهَذَا المَعْنَى في النحو؛ لأنَّ الثَّانِي ملوِيٌّ على الأولِ ومثني إِلَيْهِ وَلِذَلِكَ قَدَّرتِ التَّثَنِيَّةُ بِالْعَطْفِ والعطف بالتثنية))^(١٩).

ويكون العطف على نوعين: إما عطف نسق، أو عطف بيان^(٢٠)، وفي عطف النسق يطلق ((النحويون على حروف العطف تسمية حروف النَّسَقِ لأنَّ الشَّيْءَ إذا عطفَ عليه شيئاً بعده جَرى مجرّى واحداً. . .))^(٢١)، وهو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف^(٢٢).

وحروف العطف هي عشرة أحرف يتبعن ما بعدهن ما قبلهن من الأسماء والأفعال في الإعراب. وهي (الواو، الفاء، حتى، ثمّ، أو، إما، لا، بل، لكن، أم) ^(٢٣). وهذه الحروف ((لا يدخل بعضها على بعض فإذا وجدت في كلام فقد أخرج أحدهما من حروف النسق)) ^(٢٤).

وتكون حروف العطف على قسمين، أحدهما: ما يشترك فيه المعطوف مع المعطوف عليه مطلقاً أي في اللفظ والحكم وهي (الواو، ثم، الفاء، أم، أو)، والثاني: ما يشترك لفظاً فقط لا حكماً وهي (لا، بل، لكن) وهذه الحروف تُشرك الثاني مع الأول في إعرابه وليس في حكمه ^(٢٥).

ومن المحدثين من يُعرّف العطف بأنه: ((عبارة عن وسائل متنوعة تسمح بالإشارة إلى مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض بطريقة تسمح بالإشارة إلى هذه المتواليات النصّية مثل لأن، وعليه، أو، لكن. . .)) ^(٢٦)، فهو إحدى أهم الأدوات التي تحقق التماسك النصّي.

ويرى الزناد أن أدوات العطف تعمل على الجانب التطبيقي فادرجها في قائمة الأدوات المنطقية؛ ((لأنها علامات على العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماكك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص؛ ويرتبط استعمالها بطبيعة النص من حيث موضوعه وأشكاله)) ^(٢٧)، فهي تمثل روابط شكلية لها معانٍ ودلالات وفقاً للعلاقات الموجودة بين الجمل على مستوى النص، وهذه الأدوات تحدد وفقاً للسياق، وقد يفرض السياق أداة معينة بحسب المقتضى، ويفرض عليها - الأداة - معنى محدداً حسب المقام، فهو - العطف - يعمل على استمرارية النص على المستوى الشكلي والدلالي؛ لئسهم في إنتاج البنية الكلية للنص ^(٢٨).

بعد هذا التقديم الموجز لماهية العطف وحروفه سنرى الأثر الذي أدته حروف العطف في نصوص الصحيفة.

-العطف بالواو:

وبدأنا بحرف (الواو)؛ لأنه أكثر الحروف انتشاراً على المستوى النحوي من جهة، وشغل ما لا يشغله أي حرفٍ سواه من أحرف العطف الأخرى على مستوى أدعية الصحيفة، ومن أهم وأطول أدعية الصحيفة التي ذكرها الإمام عليه السلام دعاؤه عليه السلام في (طلب الفرج متوسلاً بأساء الله تعالى) وكان لـ (الواو) حضوراً واسعاً على مدى مساحة الدعاء وهو من الأدعية التي ذكرها الكفعمي* في كتابه (البلد الأمين والدرع الحصين) وهو دعاء يُذكر ((عقيب صلاة الحاجة المروية عن الرضا عليه السلام فإذا سلمت فادع بهذا الدعاء وأنت قائم))^(٢٩).

وتكرر ذكر (الواو) فيه بشكل واسع بين فقرات الدعاء إذ تكرر أكثر من (مائة وأربع وتسعين مرة)، وسنُدرج أهم فقرات الدعاء التي تكرر فيها حرف (الواو)؛ وذلك لطول الدعاء لأكثر من تسع صفحات يقول فيه الإمام عليه السلام:

((وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَوَلِيُّهُ وَنَبِيُّهُ وَخَلِيلُهُ وَصَفِيُّهُ وَحَبِيبُهُ وَخَالِصَتُهُ وَخَاصَّتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ ﴿أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٣٠)، بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ، وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا، يَا مُقْوِي كُلِّ ذَلِيلٍ، وَمُعَزِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُذِلِّ الْجَبَّارِينَ...))^(٣١).

وفي مقطع آخر من الدعاء يقول: ((اللَّهُمَّ كُفِّ عَنِّي عَبْدِكَ الضَّعِيفِ (فلان بن فلان) شر (فلان بن فلان) وَذُبَّ عَنْهُ كَيْدُهُ وَمَكْرُهُ وَغَائِلَتُهُ وَبَطْشُهُ وَحِيلَتُهُ وَعَمَزُهُ، وَطَمَّهُ بِالْعَذَابِ طَمًّا، وَقَمَّهُ بِالْبَلَاءِ قَمًّا، وَابْحَ حَرِيمَتِهِ، وَارْمِهِ بِنَوْمٍ لَا مَعَادَ لَهُ وَبِسَاعَةِ لَا مَرَدَ لَهَا... اللَّهُمَّ بِحَقِّكَ الْعَظِيمِ، وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَبِحَقِّ أَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ وَبِحَقِّ هَؤُلَاءِ الْأُمَّةِ الْمُعْصُومِينَ، وَبِحَقِّ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَبِحَقِّ مَنْ نَادَاكَ، وَنَاجَاكَ، وَدَعَاكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...))^(٣٢).

عند البدء والنظر إلى طول الدعاء ذكرنا أنه طويل ممّا يحتاج إلى عدد أكبر من الأدوات الاتساقية؛ التي لا بدّ أن تتسق وتتشارك للوصول إلى التماسك الكلي للنص. فنرى تلك الكثرة البالغة في نصوص الدعاء الذي شغلها حرف (الواو) فعمل رابطاً عمداً إلى ربط فقرات الدعاء بعضها مع بعض محققاً تماسكاً خاصاً للنص، فبفضله تحقق الارتباط الدلالي للنص. فلو أردنا مثلاً حذف الواو من النص الدعائي لاختل النص واتساقه وبدا مفككاً فلا تحصل منه فائدة، فلا تكون الجملة متماسكةً ولا يتحقق اتساق بين مكوناته، ولا يتم الربط بين فقراته. ويُعدُّ حرف الواو من الحروف التي تحقق الترابط الشكلي والدلالي للنص، فما بعدها يكمل معنى ما قبلها. ولولا وجوده لما تحقق اتساق المعنى واكتتاله^(٣٣).

ومن الأدعية الأخرى في الصحيفة التي نجد حضور حرف (الواو) فيها والتي لا يقل عن سابقتها من الأدعية دعاؤه ﷺ لولده المهدي ﷺ وهو دعاء مروى عن ((يونس بن عبد الرحمن عن الرضا ﷺ أنه كان يأمر بالدعاء لصاحب الأمر ﷺ بهذا الدعاء))^(٣٤)، وهو دعاء طويل لا يقل عن خمس صفحات وسندرج أهم فقرات الدعاء التي شغل (الواو) فيه حضوراً لافتاً وبكثرة لا يمكن إغفالها.

يقول فيه: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاذْفَعْ عَنِّي وَلِيِّكَ، وَخَلِّفْتِكَ وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ، وَ لِسَانِكَ الْمَعْبُورِ عَنكَ بِإِذْنِكَ، النَّاطِقِ بِحِكْمَتِكَ، وَ عَيْنِكَ النَّاطِرَةِ فِي بَرِّيَّتِكَ، وَالشَّاهِدِ، عَلَى عِبَادِكَ، . . . اللَّهُمَّ وَاَعِذْهُ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ مَا خَلَقْتَ وَذَرَأْتَ وَبَرَأْتَ وَأَنْشَأْتَ وَصَوَّرْتَ، وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمَنْ فَوْقَهُ وَمَنْ تَحْتَهُ، بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مَنْ حَفِظْتَهُ بِهِ. وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَوَصِيَّ رَسُولِكَ وَأَبَاءَهُ، أَيْمَتَكَ وَدَعَائِمَ دِينِكَ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَاجْعَلْهُ فِي وَدِيعَتِكَ الَّتِي لَا تَضِيعُ، وَفِي جَوَارِكِ الَّذِي لَا يُخْفَرُ، وَفِي مَنْعِكَ وَعِزِّكَ الَّذِي لَا يُقْهَرُ. . .))^(٣٥).

وفي فقرة أخرى من الدعاء يقول: ((اللَّهُمَّ وَاقْتُلْ بِهِ جَابِرَةَ الْكُفْرِ، وَ عَمَدَهُ
وَدَعَائِمَهُ، وَالْقُوَامَ بِهِ، وَاقْصِمْ بِهِ رُؤُوسَ الضَّلَالَةِ، وَشَارِعَةَ الْبِدْعَةِ، وَمِثَّةَ السُّنَّةِ،
وَمُقَوِّبَةَ الْبَاطِلِ، وَادْلُلْ بِهِ الْجَبَّارِينَ، وَابْرُ بِهِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَجَمِيعَ الْمُلْحِدِينَ،
حَيْثُ كَانُوا وَأَيْنَ كَانُوا، مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا، وَسَهْلِهَا
وَجَبَلِهَا، حَتَّى لَا تَدَعَ مِنْهُمْ دِيَارًا، وَلَا تَبْقِيَ لَهُمْ آثَارًا. اللَّهُمَّ وَطَهَّرْ مِنْهُمْ بِلَادَكَ،
وَاشْفِ مِنْهُمْ عِبَادَكَ، وَاعِزَّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَآخِي بِهِ سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَدَارِسَ حُكْمِ
النَّبِيِّينَ، وَجَدِّدْ بِهِ مَا مَحَى مِنْ دِينِكَ، وَبَدِّلْ مِنْ حُكْمِكَ. . .)) (٣٦).

نلاحظ في المقطع الأول من الدعاء أن (الواو) ربطت بين الأفعال الدالة على
الخلق (خلقت، برأت، صورت، أنشأت)، وجمعت بين الألفاظ الدالة على الجهات (خلفه،
يمينه، شماله، فوقه، تحته)، بأسلوبٍ متسقٍ، ومنسجمٍ منظمٍ، فضلاً عن ذلك
عملت على ربط الجملة الفعلية بالجملة اللاحقة، فمن عطف الجملة الفعلية في
المقطع الثاني (واقْتُلْ، وادْلُلْ)، ومن أول فقرة في الدعاء إلى آخره لم تخل من حرف
الواو فكانت عاملة على ربط كل فقرة بما تليها، وعاملة أداة ربط ذات أثر واضح في
نص الدعاء ربطت أجزاء بعضها مع بعض، فشغلت (الواو) حيزاً كبيراً من الدعاء
وأخذت تُشكل نغماً موسيقياً فيه رابطة بين فقراته. فلولاها لما تناسقت فقرات
الدعاء ولما ارتبطت جملة ببعضها مع بعضها الآخر.

-العطف بالفاء:

إذا تتبعنا حرف العطف (الفاء) في أدعية الصحيفة الرضوية نجدها لم تخل منه ؛
فقد شغلت حروف العطف مكانة لا يستهان بها في نصوص الصحيفة. إذ وردت في
نصوص الصحيفة الرضوية (ثمانين) مرة.

وأول الأدعية التي ورد ذكر (الفاء) فيها مكثفاً وشغلت أغلب مساحة النص

هو دعاؤه عليه السلام في (دفع شر الأعداء في القنوت) وهو دعاء مذكور السند سابقاً^(٣٧)،
يقول فيه:

((... يا مَنْ خَلَقَ فَرَزَقَ، وَأَلْهَمَ فَاَنْطَقَ، وَابْتَدَعَ فَشَرَعَ، وَعَلَا فَاَرْنَعَ، وَقَدَّرَ
فَأَحْسَنَ، وَصَوَّرَ فَاتَّقَنَ، وَاحْتَجَّ فَأَبْلَغَ، وَأَنْعَمَ فَاسْبَغَ، وَأَعْطَى فَاجْزَلَ، وَمَنْحَ
فَأَفْضَلَ، يَا مَنْ سَمَّا فِي الْعِزِّ فَفَاتَ حَوَاطِرَ الْأَبْصَارِ، وَدَنَا فِي اللَّطْفِ فَجَازَ هَوَاجِسَ
الْأَفْكَارِ، يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالْمُلْكِ فَلَا نِدَّ لَهُ فِي مَلَكُوتِ سُلْطَانِهِ، وَتَوَحَّدَ بِالْكَرِيمِيَّةِ فَلَا ضِدَّ
لَهُ فِي جِبْرُوتِ شَانِهِ...))^(٣٨).

نرى أدوات العطف المكثفة في النص المتقدم وكيف أسهمت في الجمع بين الجمل
المتتالية في النص الدعائي، بدأ الإمام عليه السلام بالفعل (خلق) وبداية كل شيء هو خلقه،
وبعد الخلق (الرزق)، فالفاء جاءت للترتيب باتصال الرزق بعد الخلق، ثم يعطف
ب(الواو) بين فقرتين كلها تدل على مقدرة الخالق سبحانه وتعالى، ثم يذكر الفعل (ابتدع)
بعده (شرع) والشروع في الطريق يأتي بعد الابتداء، ثم يعطف ب(الواو) ويرجع إلى
الفاء وهكذا إلى نهاية الفقرة، فلو حذفنا (الفاء) من النص لرأينا تشتت معنى الجمل،
فاستمر التعالق الدلالي في النص من خلال سياق العطف، وترتيب المعطوفات واحدة
تلو الأخرى في سلسلة متسقة ومنسجمة، تتلاءم مع غرض الإمام عليه السلام في تعداد نعم الله
وصفاته، فأخذت كل جملة مرتبطة بما قبلها وما بعدها في سياق نصي منسجم. فجاء حرف
العطف (الفاء) الرابط في هذا الاطار منسجماً مع النص ومتفقاً مع سياق الحال. وأهم
ما يمكن قوله أن (الفاء) تعاضدت مع حرف (الواو) ليربطا بين جمل النص ودلالاته؛
ليضفي على النص صفة الاتساق والتناسك؛ لأن ((العطف وسيلة من وسائل التماسك
النصي، في ضوء وظيفته الدلالية والبلاغية، فلكل حرف من حروف العطف وظيفته في
ترابط النص، تميزه عن غيره من الحروف...))^(٣٩)، فهو ظاهرة تكاد تكون واحدة في

الجانب السياقي إلا أنها ليست كذلك من الجانب الدلالي؛ فهي تتجدد بتجدد الاستعمال اللغوي والتركيب والسياق الذي ترد فيه^(٤١). وهذا ما بدا واضحاً في الدعاء.

ومن الأدعية الأخرى التي ظهرت فيها (الفاء) وسيلة ربط واضحة هو دعاؤه ﷺ في (المناجاة لطلب الفرج)، وهو دعاء مذكور السند سابقاً^(٤٢)، يقول فيه:

((... لَيْسَ كَمِثْلِكَ شَيْءٌ، وَلَنْ يُدْرِكُوكَ ظَاهِرُ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَتِكَ دَهْمٌ عَلَيْكَ لَوْ عَرَفُوكَ، وَفِي خَلْقِكَ يَا إِلَهِي مَنُذُوحَةٌ أَنْ يَتَنَاوَلُوكَ بَلْ شَبَّهُوكَ بِخَلْقِكَ فَمِنْ تَمَّ لَمْ يَعْرِفُوكَ، وَاتَّخَذُوا بَعْضَ آيَاتِكَ رَبًّا فَبَدَّلِكَ وَصَفُوكَ، فَتَعَالَيْتَ يَا إِلَهِي وَتَقَدَّسْتَ عَمَّا بِهِ الْمُشَبَّهُونَ نَعْتُوكَ...))^(٤٣).

في هذا الدعاء نرى الكم المكثف في استعمال الأدوات على الرغم من قصر الفقرة، إلا أنها زاخرة بأكثر من أداة عطف (الواو، الفاء، ثم، بل) - وهو الدعاء الوحيد الذي ذكر الإمام ﷺ فيه حرفي العطف (ثم، و) (بل) -، وساهمت في انسياب المعاني في النص، فاستعمال هذه الأدوات مجتمعة مع بعضها لم يأت عبثاً ولا اعتباطاً؛ وإنما لغاية دلالية وفكرة أراد أن يجسدها الإمام ﷺ بتعدد الأدوات بين متواليات الجمل، فنوع الإمام ﷺ في استعمال الأدوات لعوامل وأسباب خاضعة للمقام النصي، فوقعت الفاء لبيان حال الذين حاولوا التشبيه لله عز وجل ووصفهم له والتشبيه لله (عز وجل) دل على معرفتهم به، وأخذوا بظاهر الآيات الموجودة الدالة على قدرتك، ثم أتى ﷺ بلفظة (فتعاليت) يربطها بالفاء فتعاليت تدل على العلو المطلق لكل الوجوه فتعالى الله سبحانه وتعالى عن كل العيوب والنقائص، فالله متعالٍ عن الشريك والنظير والمثيل، فساهمت (الفاء) في الربط بين الجمل لتشكل صفة الاتساق للنص، وكذلك وقع اختيار الإمام لحرف العطف (ثم) وسيلة ربط واضحة؛ ليوضح انتقاله بين كلامه، فقد مهدت السبيل لترتيب أجزاء النص

الدعائي بمهلة، وكذلك تقوية أو اصره المتباعدة^(٤٣)، فتآزرت أدوات العطف داخل بنية النص فمنحته الحركة والحيوية؛ لتنتهي به إلى التماسك الكلي. أما لو تتبعنا حروف العطف الباقية ك (أم ، أو ، حتى ، لكن) فانها لم ترد سوى مرة أو مرتين في مواضع متفرقة في نصوص الصحيفة ولقلة حضورها لم تدخل في الدراسة.

مِمَّا تَمَّ تناوله في الحديث عن الربط بأدوات العطف نرى كيف مَثَّل أسلوب العطف أثراً واضحاً في نصوص الصحيفة والربط بين الوحدات النصية في إطار البنية الكلية للنص لتربط متواليات الجمل بشكل نصي متسق، ومنسجم، ومتلاحم الأجزاء كجملة واحدة مساهماً في إحداث الترابط النصي للدعاء.

المحور الثاني: القسم وأثره في انسجام النص الرضوي

أ - مصطلح الانسجام:

لو أردنا أن نبحث في جذور مصطلح الانسجام نجد أن علماء العربية لم يغفلوا عن هذا المصطلح، بل كان مصطلح (الحبك)، أي (الانسجام) هو مدار الحديث في أغلب مؤلفاتهم. فقد أطلق البلاغيون في الدراسات القديمة مصطلح (الحبك) التي تعتمد على الترابط المعنوي الذي يتمثل بالتتام المعنى واتساقه، والتحامه، وائتلافه مع اقترانه وارتباطه بمصطلح (الحبك)، وهو ما يراد به تماسك المعنى وائتلافه^(٤٤). فتعددت المؤلفات التي تحوي هذا المصطلح. ويمكن أن نقول إن كل نص يكون قابلاً للتأويل والقراءة محكوماً بمعايير النصية - إذا توفرت - هو نص منسجم وبخلاف هذا فهو نص غير منسجم^(٤٥). وأهم ما يُذكر أنه لا يكون هناك نص منسجم بعيداً عن المتلقي، فليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته بعيداً عن المتلقي^(٤٦).

وإذا أردنا أن نقلني الضوء على مصطلح الانسجام في الدراسات اللسانية الحديثة وفي مؤلفات نحاة النص نجد أنه تباين من باحث نصي إلى آخر، واختلفت آراؤهم في الثبات على مصطلح واحد. ويمثل الانسجام جزءاً أساسياً عند تشكيل أي نص، فلا يمكننا ان نطلق على قطعة مكتوبة نصاً إذا لم تكن هذه القطعة تحمل دلالة مركزية، وكل جزء منسجم ومرتبط بطريقة معينة؛ لأجل الوصول إلى دلالة واضحة لدى المتلقي^(٤٧). فهو قضية منطقية لجعل التواصل مفهوماً لدى المتلقي من خلال الكشف عن العلاقات المعنوية في نسيج النص التي بسببها تناسقت دلالاته وتلاقت معانيه على الوجه الذي يقتضيه العقل^(٤٨). فلا يمكن ان يكون النص منسجماً إذا لم تكن بنيته منسجمه، متداخلة، ومترابطة قائمة على علاقات مختلفة تربط بين مفاهيمه في جميع المستويات وهذه العلاقات دلالية تشد النص وتجعله منسجماً في مجمل حركاته وانتقالاته^(٤٩).

وإذا تناولنا مصطلح الانسجام لدى علماء النص في الدرس اللساني الحديث نجد أنهم اختلفوا في تسمية المصطلح فقد عرفه (د. تمام حسان) بمصطلح (الالتحام)، بينما (د. محمد مفتاح) أطلق عليه مصطلح (التشاكل)^(٥٠). و (محمد العبد وسعد مصلوح) قد اتفقا على تسميته بمصطلح (الحبك) يقول محمد العبد: ((آثرت الحبك على غيره مما دار مداره))^(٥١)، وفي هذا القول اشارة واضحة إلى أن هناك تسميات عدة لهذا المصطلح وهو اختار (الحبك) من بينها.

أما سعد مصلوح الذي وافقه في التسمية فيرى إذا كان معيار السبك مختصاً برصد الاستمرارية في ظاهر النص فإنّ الحبك مختص برصدها في باطن النص التي تكون متجسدة بمنظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم^(٥٢). واتفق (محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي وعزة شبل) على تسميته بـ (الانسجام أو

التماسك المعنوي) وهو عند عزة شبل ((الكيفية التي تمكن القارئ من ادراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص ومعها يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة))^(٥٣).
أما محمد خطابي فقد أطلق عليه الانسجام في قوله ((الانسجام أعم وأعمق من الاتساق فهو يتطلب من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده ويتجاوز رصد المحقق أو غير المحقق أي الاتساق إلى الكامن))^(٥٤). ويمكن أن نعرّفه أيضاً هو ((الطريقة التي يتم فيها ربط الافكار داخل النص))^(٥٥)، وهو ((ما تنطوي عليه تشكيلة المفاهيم والعلاقات من تواصل ووثاقة صلة متبادلين))^(٥٦).
فالانسجام يمثل الترابط النصي الذي يربط بين أجزاء الجمل ليكون هذا الربط نصاً منسجماً معتمداً على الظروف والسياق المحيط به.

ويرى باحث آخر أن الانسجام هو: ((خاصة سيميائية * للخطاب، قائمة على تأويل كل جملة مفردة بتأويل الجملة التي قبلها وبعدها، وهو أهم من الترابط ؛ لأن الترابط لا يشكل إلا جانباً من جوانب الانسجام))^(٥٧). فالانسجام قائم على العلاقات الدلالية الواردة بين أجزاء النص ومحقق عن طريق اجراءات تنشيط عناصر المعرفة الى الترابط المفهومي وهو بهذا عكس الاتساق الذي يكون قائماً على العناصر التشكيلية^(٥٨). فهو يركز على الجانب الدلالي في باطن النص وليس الجانب التشكيلي منه.

أما إذا أردنا تتبع المصطلح لدى الغرب فإننا نجد أن المصطلح ظهر لدى الغرب بلفظ (coherence) والتي تعني (انسجام)^(٥٩)، وأهم التعريفات لمصطلح الانسجام هو تعريف (دي بو جراند) في قوله: ((الالتحام يتطلب من الاجراءات ما تنشيط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، والسعي إلى التماسك فيما يتصل

بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرفها النص مع المعرفة السابقة بالعالم^(٦٠).

أما (كلاوس برينكر) فيرى بأن الانسجام هو النواة الأساسية في تعريف النص^(٦١)، وهو من أهم العناصر التي تحقق النصية التي درسها (فان دايك) في كتابه (النص والسياق).

لقد اهتم علماء النص حديثاً وخاصة الدراسات اللسانية الحديثة بالانسجام على أنه مفهوم مركزي في مجال علم النص وعملوا على دراسة الآليات والقوانين التي تحكمه^(٦٢). والتعريفات في مصطلح الانسجام على كثرتها وتنوعها تُشير إلى الأفكار التي تكون عند منشيء النص، وإلى القارئ الذي يسعى للبحث عن طرف الخيط في ربط تلك الأفكار موظفاً قدرته على التأويل والتفسير والقياس^(٦٣).

من خلال ما تناولناه في الصفحات السابقة نرى أن مصطلح الانسجام هو من المصطلحات التي تعددت فيها الآراء والتعريفات، كلٌ بحسب رأيه، ولكنها جميعها متفقة على أن الانسجام يتناول باطن النص لتحقيق استمراريته فيركز على الجانب الدلالي القائم على نقل المعلومات، فيهتم بالبنية الدلالية العميقة للنص.

ب- الفرق بين الاتساق والانسجام

إن الحديث عن الفروق بين الاتساق والانسجام ليس الغرض منه هو جعل كل منهما بمعزل عن الآخر، بل ليدل على أن لكلٍ منهما ميزات وخصائص تميزه عن غيره دون المساس بعلاقتها فكل منهما يكمل الآخر لتحقيق الترابط والتماسك للنص. فتشكل ثنائية الاتساق والانسجام معاً آلية التعامل مع النصوص وتعطي الدور للمتلقي في إيجاد الانسجام القائم على التأويل، لا الانسجام القائم على الخطاب نفسه^(٦٤). فعلاقة الاتساق بالانسجام هو مفصل مهم ينبغي للمتلقي الخطاب أن

يكون حاذقاً به، لهذا نجد أن (هاليداي ورقية حسن) يعدّان الاتّساق مكوناً من مكونات الانسجام^(٦٥). ويمكن أن ندرج جدولاً بسيطاً نوضح فيه الفرق بين الاتّساق والانسجام من حيث اللفظ والوظيفة

الاتّساق cohesion	الانسجام coherence
(السبك)	(الحبك) أعم وأشمل أسبق من حيث الظهور
سطحي ولغوي	عميق ودلالي
يدرس ظاهر النص	يدرس باطن النص وعالمه
يتناول المنطوق	يتناول البعد التأويلي والدلالي
مرتبط باللفظ	مرتبط بالمعنى
قابلية على استرسال المعلومات	قابلية على التأويل
من مظاهر النحوية	من مظاهر المقبولية
نصية قائمة على الصياغة	نصية قائمة على نقل المعلومات
الاتّساق يمثّل دراسة العلاقات	يعتمد على عدد قليل من القرائن ويمكن أن
والقرائن التي تحقق الانسجام	يتحقق من دون أي قرينة

وهو جدول يُمكننا من اختصار الكثير من الآراء في الحديث عن ثنائية الاتّساق والانسجام وأي منهما مكمل للآخر. فنرى أنهما يُشكّلان كلاً متكاملًا لتحقيق التماسك والترابط النصي.

ج- آليات الانسجام

ذكرنا بأن الانسجام هو أحد العناصر المهمة والرئيسة التي تحقق النصّية للنص وتضمّن استمراريته ويسهم في كشف القيم الدلالية والجمالية فيه، وذلك من خلال تفاعل القارئ مع النص، فيعتمد إلى استنتاج مختلف عناصره معتمداً

على التفسير والتحليل والتأويل، ولهذا العنصر آليات تحدده وتعمل على تحقيقه لا بدّ من ضبطها وتحديدها.

عدّ علماء النص مصطلح الانسجام مفهوماً مركزياً في مجال النصّية، فعملوا على ضبط الآليات التي تحدّده^(٦٦). فتشتغل آليات الانسجام على المستوى الدلالي والتداولي في النص. وهي عبارة عن مقاربات سياقية تركز على الجانب اللغوي داخل النص نفسه يستعين بها المتلقي للحكم على انسجام النص. وأخرى مقاربات مقامية. إذ النصّ لا يحتوي على مقومات انسجامه، بل يقوم القارئ بعمليات عقلية معقدة متركزاً على العوامل غير اللغوية الخارجة عن النص لإعادة بناء انسجامه، فالمقاربات السياقية والمقامية تعتمد على المعطيات اللغوية وغير اللغوية في تحديد انسجام النص وهي تتحقق أساساً في النص من خلال وسائل الاتّساق^(٦٧).

فالانسجام يركز أساساً على العلاقات الدلالية الواردة بين أجزاء النص متحققاً من خلال إجراءات وآليات تنشط عناصر المعرفة للوصول إلى الترابط المفهومي^(٦٨). وتلك العلاقات الدلالية هي ما تجمع أطراف النص وتربط متوالياته دون ظهور وسائل شكلية على ظاهره^(٦٩). ولقد تعدّدت عمليات الانسجام وآلياته تبعاً لتباين آراء ووجهات النظر عند علماء النص^(٧٠).

وعند دراسة آليات الانسجام لا بدّ من الوقوف على أهم المحاور الأساسية لتلك الآليات والتي تتمثل في: (العلاقات الدلالية، موضوع الخطاب، البنية الكلية للنص)، ويمكن إضافة آليات أخرى للانسجام فضلاً عن الآليات السابقة ويكون لها أثر في النص، ولا تقل شأناً عن السابقة وتشكل ركيزة أساسية في الانسجام منها: (السياق)، (التغريض)، (التناص)، (المستوى التداولي للنص)

د - أسلوب القسم:

ورد أسلوب القسم في نصوص الصحيفة الرضوية، ومارس أثره فيها، وحقّق لها نوعاً من التماسك الذي أضفى على النص سمة الانسجام والاتحام بين أجزائه. ولا بدّ من إشارة موجزة عن أسلوب القسم لدى النحاة.

فالقسم في الاصطلاح ذكره سيبويه (ت ١٨٠هـ) في باب (ما عمل بعضه في بعض) بقوله: ((وفيه معنى القسم وذلك قولك: لعمر الله لأفعلن، وأيم الله لأفعلن، وبعض العرب يقول: أيمن الكعبة لأفعلن، كأنه قال: لعمر الله المقسم به))^(٧١)، ويقول في موضع آخر إنّ للقسم والمقسم به أدوات خاصة به أولها (الواو)، وتليها (الباء) و(التاء)^(٧٢)، وأسلوب القسم هو: ((كلُّ جملة يؤكّد بها جملة أخرى، كلتاها خبرية))^(٧٣)، وهو أسلوب إنشائي يؤتى به لتوكيد الكلام^(٧٤)، يسعى إلى ((تحصين الخطاب باعتماد سلطة خارج الخطاب هي (المقسم به)، وهو لا يستقيم بنفسه لا تركيبياً ولا معنوياً، فهو يفتقر إلى كلام بعده يكمله))^(٧٥)، فاتفق النحاة على أنه يمين يُقسم به الحالف ليؤكّد به شيئاً ما، أي جملة مؤكدة لجملة أخرى، فالجملة المؤكّدة هي المُقسم عليه، والجملة المؤكّدة هي القسم^(٧٦).

وأسلوب القسم لا بدّ له من مُقسم به، ومُقسم عليه، وحروف قسم تربط بين المقسم به والمقسم عليه، وهو نوعان: أحدهما مظهر: ويقع بحروف القسم (الباء، والتاء، والواو)، والآخر: المضمّر وهو نوعان، الأول: وما يُذكر فيه لام القسم، والثاني: هو ما دلّ عليه المعنى على أنه قسم^(٧٧)، وقد ورد أسلوب القسم في أدعية الإمام الرضا عليه السلام بالأسلوب الظاهر فقط، وبصيغة (بحق) فقط، أي أن الإمام عليه السلام استعمل حرف القسم الباء مع لفظة (حق) في جميع مواضع القسم التي أوردها في الصحيفة، فنجد الإمام عليه السلام أخذ يُكرّر هذه الصيغة لأكثر من ثماني مرات في دعائه في (طلب الفرج متوسلاً بأسماء الله تعالى)^(٧٨)، الذي يقول فيه:

((اللهمَّ بِحَقِّكَ الْعَظِيمِ، وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَبِحَقِّ أَنْبِيَائِكَ وَرُسُلِكَ وَبِحَقِّ هَؤُلَاءِ الْأَنْثَمَةِ الْمُعْصُومِينَ، وَبِحَقِّ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَبِحَقِّ مَنْ نَادَاكَ، وَنَاجَاكَ، وَدَعَاكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَعَجَّلَ فَرَجَهُمْ...))^(٧٩).

ففي هذا السياق نرى البنية الأساسية القياسية لبناء أسلوب القسم قد تكونت جملة القسم من حذف الفعل، وبقاء المقسم به وهو (بحق)، ثم جاءت جملة الجواب بعد تكرار القسم (حق) جملة فعلية، فالقسم بأهل البيت (عليهم السلام)، ومن ثم جعل هذا القسم إطاراً لحقيقة من الحقائق وهي (الصلاة على محمد وآل محمد) وفي ذلك تقوية للمعنى وتأكيده، وحث على الصلاة على النبي وآله، ومن اللطيف أن نجد علاقة بين المقسم به والمقسم عليه، فالقسم قد وقع بحق أهل البيت (عليهم السلام) وهم من نسل النبي (ص)، وجاء الجواب بقوله (فصل على محمد وآل محمد)، فجعل المقسم به والمقسم عليه كأنهما شيء واحد، مما يعني أن القسم قد ارتبط بجوابه ارتباطاً وثيقاً ذلك أن المقسم به والجواب هو نفسه^(٨٠)، فنلاحظ صيغة القسم واضحة في الدعاء، فاستعمل الإمام (عليه السلام) حرف القسم (الباء)، مع لفظة (حق)، و(الباء) هو الأصل في حروف القسم، وعدّه النحاة رأس حروف القسم وأصلها^(٨١)، وهو حاضر في كل مرة يُقسم فيه، ولا بدّ لهذا التكرار في هذه الصيغة من غاية ومبتغى في نفس الإمام (عليه السلام)، فكرر القسم لأكثر من سبع مرات في هذا المقطع؛ ليبين مدى إلحاحه وطلبه لقبول الدعاء، واللافت للنظر أنه استعمل أسلوب القسم مع أسلوب العطف، فعمد إلى عطف جملة قسم على جملة قسم أخرى، فتسلسل بالقسم من الأعلى منزلة إلى الأدنى، مع استعمال العطف في كل مرة، فبدأ بذات الله - جلّ وعلا-، ومن ثم النبي (عليه السلام)، ومن بعدهم الأنبياء والرسل، وهكذا في كل مرة يُقسم فيها؛ ولا بدّ من اجتماع هذين الأسلوبين تأكيداً وإلحاحاً ومبالغةً في الطلب من الإمام (عليه السلام)، فأخذ

يُقسم على الله (عزَّ وجل) بكلِّ شيءٍ مقدَّسٍ متدرجاً من أقرهم إلى الله وأرفعهم درجة لديه إلى أذنانهم قرباً ودرجة، لبيان شدة توكيده على قبول طلبه، فلم يكتف بقسمٍ واحدٍ وثانٍ، بل حول النص إلى قسم ؛ رغبةً في القبول وطلباً للتوسل بهذه الأسماء العظيمة بغية الوصول إلى المراد، ونلاحظ أيضاً أن الإمام (عليه السلام) قد اكتفى في المقطع الأخير من الدعاء بصيغة قسم واحدة وأضمرها مع (ناجك، ودعاك)، فلم يُصرح بصيغة القسم مع كونه قادراً على ذلك، وهذا قد يعود لكون المناجاة والدعاء قد تكون من أي أحد من البشر فلم يُقسم بهم أيضاً؛ فالمعروف بالمقسم به أن يكون اسماً معظماً^(٨٢)، أو ذاتاً مقدَّسة^(٨٣)، لذا نرى أن الإمام (عليه السلام) صرح بصيغة القسم مع ما يراه مناسباً له في الموضع الذي يبيث في نفس المتلقي الرهبة والعظمة عند التلطف بالقسم، من هذا نرى كيف أدى القسم أثره البارز في التغلغل في الدعاء فمثل سمة انسجام واضحة في النص الدعائي فربط بينه وبين العطف والتكرار، فاجتمعت وتلاحمت الأساليب مع بعضها لتُخرج النص بأقوى صورة من التماسك من جهة، ولتمنح القسم القوة والشدة من جهة أخرى.

ونراه يستعمل الصيغة نفسها في دعاء آخر، وهو دعاؤه (عليه السلام) في (قضاء الحوائج متوسلاً بالمصحف، وبمحمد واله (عليهم السلام)) وهو دعاء مروى بالإسناد عنه (عليه السلام)^(٨٤)، يقول فيه: ((اللَّهُمَّ بِحَقِّ مَنْ أَرْسَلْتَهُ إِلَى خَلْقِكَ، وَبِحَقِّ كُلِّ آيَةٍ فِيهِ، وَبِحَقِّ كُلِّ مَنْ مَدَّحْتَهُ فِيهِ عَلَيْكَ، وَبِحَقِّكَ عَلَيْهِ، وَلَا نَعْرِفُ أَحَدًا أَعْرَفَ بِحَقِّكَ مِنْكَ يَا سَيِّدِي يَا اللَّهَ، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ، بِحَقِّ عَلِيٍّ، بِحَقِّ فَاطِمَةَ، . . . صل على محمد وال محمد))^(٨٥).

نرى في هذا الدعاء الصيغة نفسها (بحق)، التي يستعملها في كل موضع أقسم فيه، فلم يلجأ إلى صيغة أخرى، أو حرفٍ آخر من أحرف القسم ؛ وهذا قد نفسره لغاية في نفس الإمام (عليه السلام) كون هذه الصيغة أبلغ في التأثير وأكثر قوة في الطلب

والإلحاح والتوسل؛ لذا غالباً ما يستعملها، والأهم من ذلك واللافت للنظر أنه في كل مرة يستعملها يُقسم بها أكثر من أربع مرات، أي أنه لم يكتف بالقسم بها مرة واحدة، وهذا من باب التأكيد، والمبالغة ولعظمة ما يُقسم به، فنراه في هذا الدعاء أخذ يُقسم مكرراً القسم متدرجاً فيه، ويمكن أن نبرر أيضاً تكرار القسم متعلقاً بمناسبة الدعاء، فالدعاء في دلالة أصله توسل وطلب واستغاثة؛ لهذا يمكن القول إنَّ هذا القسم متناسباً مع مناسبة الدعاء وحال الإمام عليه السلام، فلو حذفنا القسم من بقية فقرات الدعاء واكتفينا بذكره للمرة الأولى فقط لما وجدنا النص منسجماً ومتناسكاً كحاله مع تكرار القسم، فأخذ القسم يؤثر في النص؛ ليحقق له التماسك والتفاعل بين أجزائه من جهة، وليحقق أثره في نفس السامع، وليقوي المعنى ويؤكد من جهة أخرى. فكان القسم أقوى تأثيراً وتحقيقاً للتماسك والانسجام في النص الدعائي.

وعوداً على بدء نذكر أن الإمام عليه السلام لم يتناول أسلوب القسم بصيغ مختلفة، بل اكتفى بصيغة واحدة، كان يعتمد عليها في جميع مواضع قسمه، كما أنه لم يستعمل أسلوب القسم بكثرة في نصوص الصحيفة الرضوية، ومع قلته في النصوص الدعائية إلا أنه أدى أثره المباشر في الحفاظ على تماسك النص، وشغل حيزه كونه سمة انسجام واضحة ربطت بين أجزاء النص وفقراته، وتعالقها مع بعضها، فلو حذفنا القسم من موضعه لاختل تماسك النص وتلاحم أجزائه، والغاية منه.

الختامة:

- أهم ما يمكن الإشارة إليه تعاضد (الاتساق والانسجام) معا تعاضداً جلياً في النص الرضوي على اختلاف الوسائل التي تحقق كل منهما، لإخراج النص الدعائي بشكل متماسك ومنسجم من الداخل والخارج.
- ظهر أثر أسلوب العطف واضحاً في النص الدعائي، وأخذ يؤدي أثره المميز في ربط متتاليات النص بشكلٍ سلس وواضح، ف(الواو) مثلاً، لم تقتصر على وظيفتها النحوية، بل ظهرت وسيلةً اتساقية رابطة في النص وأخذت حيزها المميز وحضورها الواسع مقارنة مع غيرها من حروف العطف.
- احتل أسلوب القسم مكانة واضحة في النص الرضوي، فبرز وسيلة انسجامية واضحة أدت أثرها في إضفاء صفة النصية على النص الرضوي، ليظهر في حلة من التناسق والانسجام.

هوامش البحث:

- (١) ينظر: الاتساق النصي في التراث العربي: نعيمة سعدية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر - بسكرة، الجزائر، ع ٥، ٢٠٠٩: ١.
- (٢) ينظر: الاتساق في الخطاب الشعري من شمولية النصية إلى مفهومية التجربة الشعرية: ابراهيم بشار، مجلة المخبر في اللغة والادب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة، الجزائر، ع ٦، ٢٠١٠: ٢، وينظر: الاتساق الدلالي في قصيدة العشاء الأخير: تحسين فاضل عباس أجملة دراسات الكوفة، ع ٣٦، ٢٠١٥: ٢١٧.
- (٣) ينظر: عناصر الاتساق والانسجام النصي قراءة نصية تحليلية في قصيدة (اغنية شهر ايار) لأحمد عبد المعطي حجازي: يحيى عبابنة وأمنه صالح الزعبي، مجلة جامعة دمشق، م ٢٩، ع ١، ٢٠١٣: ٥١٠.
- (٤) اصول تحليل الخطاب في النظرية العربية النحوية: محمد الشأوش: ١ / ١٢٤.
- (٥) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥.
- (٦) ينظر: بنية النص في سورة الكهف مقارنة نصية للاتساق والسياق: شعيب حمودي، رسالة ماجستير، ٢٠١٠: ٣٨.
- (٧) ينظر: الاتساق والانسجام ومظاهرها في قصيدة (بطاقة هوية) لمحمود درويش: هناء دادة موسى، رسالة ماجستير، ٢٠١٥: ١٨.
- (٨) لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص: ١٥.
- (٩) ينظر: م. ن: ١٥.
- (١٠) ينظر: أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ودراسة نصية من خلال سورة يوسف: محمود سلمان: ٥٧.
- (١١) ينظر: الاتساق في الخطاب الشعري من شمولية النص إلى التجربة الشعرية: ٣.
- (١٢) أثر عناصر الاتساق في النص من خلال سورة يوسف: ٥٧.
- (١٣) ينظر: بنية النص في سورة الكهف مقارنة نصية للاتساق والسياق: ٣٩.
- (١٤) ينظر: الاتساق في الخطاب الشعري: ٣.
- (١٥) أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف: ٥٩.
- (١٦) ينظر: دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي: ١٢.
- (١٧) دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي: ١٤، ينظر: بنية النص في سورة الكهف مقارنة نصية للاتساق والسياق: ٣٩.

- (١٨) ينظر: علم لغة النص والاسلوب: ٣٣.
- (١٩) اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (٦١٦هـ)، تح: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥: ٤١٦ / ١.
- (٢٠) ينظر: م. ن: ١ / ٤٠٩، ز ألفية ابن مالك: محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي أبو عبد الله جمال الدين (٦٧٢): ١ / ٤٦، و شرح ابن عقيل: ٣ / ٢١٨.
- (٢١) لسان العرب: ٦ / ٤٤١٢.
- (٢٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣ / ٢٢٣.
- (٢٣) ينظر: الأصول في النحو: ٢ / ٥٥ - ٥٧.
- (٢٤) الجنى الداني في حروف المعاني: بدر الدين بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ): ١ / ١٥٨.
- (٢٥) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣ / ٢٢٥.
- (٢٦) نحو النص: ١٢٨.
- (٢٧) نسيج النص: ٣٧٠، ينظر: أثر العطف في التماسك النصي في ديوان علي صهوة الماء للشاعر مروان جميل محيسن (دراسة نحوية دلالية): خليل عبد الفتاح، حسين راضي العابدي، مجلة البحوث الإسلامية للبحوث الانسانية، جامعة الأقصى - غزة، م ٢٠٠٢، ع ٢، يونيو ٢٠١٢: ٣٣٧.
- (٢٨) ينظر: أثر العطف في التماسك النصي في ديوان علي صهوة الماء للشاعر مروان جميل محيسن: ٣٣٩.
- *الكفعمي: إبراهيم بن علي بن الحسن الحارثي العاملي الكفعمي، تقي الدين: أديب، من فضلاء الإمامية.
- (٢٩) البلد الأمين والدرع الحصين: ٤٤٩ - ٤٥٣.
- (٣٠) التنوية: ٣٣.
- (٣١) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٠.
- * قَمَّه وَقَمَّا: قَمَّ الشَّيْءَ قَمًّا: كَسَّهُ أَوْ كَسَحَهُ، ينظر: لسان العرب: ١٢ / ٤٩٣.
- (٣٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٧.
- (٣٣) ينظر: الاتساق النحوي والمعنى في كلام الزهراء انموذجا: ٨٩.
- (٣٤) البلد الأمين والدرع الحصين: ١٢٢ - ١٢٤.
- (٣٥) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٧٢ - ٧٣.
- (٣٦) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٧٣ - ٧٤.

- (٣٧) عيون أخبار الرضا: ٢ / ٣٧٩ (الحديث ١).
- (٣٨) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٤٦.
- (٣٩) أثر القرائن العلائقية في اتساق النص في نهج البلاغة خطب الحروب انموذجا: أيناك عبد براك، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية، ط ١، كربلاء - العراق، ٢٠١٧: ٢٥٥.
- (٤٠) ينظر: أثر العطف في التماسك النصي في ديوان علي صهوة الماء للشاعر مروان جميل محسن (دراسة نحوية دلالية): ٣٥٤.
- (٤١) ينظر: بحار الأنوار: ٩٢ / ١٦٢ (الحديث ٩).
- (٤٢) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٢٠.
- (٤٣) ينظر: أثر القرائن العلائقية في اتساق النص في نهج البلاغة خطب الحروب انموذجا: ٢٦١.
- (٤٤) ينظر: تحليل النص: محمود عكاشة: ٣٣٠.
- (٤٥) ينظر: تحليل الخطاب الشعري: ١٨.
- (٤٦) ينظر: لسانيات النص: ٥١.
- (٤٧) ينظر: الاشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن: ٤٥١.
- (٤٨) ينظر: علم اللغة النصي: ٤٥٣.
- (٤٩) ينظر: الاشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن: ٤٥٣.
- (٥٠) ينظر: الانسجام النصي وأدواته: ٢٦.
- (٥١) النص والخطاب والاتصال: ١٠٠.
- (٥٢) ينظر: نحو اجرومية النص الشعري: ١.
- (٥٣) علم لغة النص: ١٨٤.
- (٥٤) لسانيات الخطاب: ٥-٦.
- (٥٥) النص الغائب: ٤٨.
- (٥٦) مدخل الى علم لغة النص: ١٢٠.
- *سيميائية: أي دلالية، يطلق مصطلح السيميائية على علم دلالات الألفاظ وتطورها، ينظر: معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي، ط ١، التعاقدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقص - تونس، ١٩٨٦، ٢٠٦.
- (٥٧) الانسجام في القرآن سورة النور انموذجا: ٢٧.
- (٥٨) ينظر: اليات الانسجام في خطب الإمام علي: ٨٧.
- (٥٩) ينظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: ١٦.

- ٦٠) النص والخطاب والإجراء: ١٠٣ .
- ٦١) ينظر: النص والخطاب والاتصال: ٩٠ .
- ٦٢) ينظر: دور الروابط في الحديث القدسي: ٥٥ .
- ٦٣) ينظر: م. ن: ٥٤ .
- ٦٤) ينظر: ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة قميصنا البالي للشاعر (سميح القاسم): نزار مسند ومحمود سليمان: ٥١ .
- ٦٥) ينظر: تحليل الخطاب الشعري: ١٩ .
- ٦٦) ينظر: دور الروابط في اتساق وانسجام الحديث القدسي: ٥٥ .
- ٦٧) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ٢٩٦ .
- ٦٨) ينظر: آليات الانسجام النصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة: ٨٧ .
- ٦٩) ينظر: لسانيات النص: ٢٦٨ .
- ٧٠) ينظر: الانسجام النصي وأدواته: ٦٣ .
- ٧١) الكتاب: ٣ / ٥٠٣ .
- ٧٢) ينظر: الكتاب: ٣ / ٤٩٦ .
- ٧٣) المُقَرَّب ومعه مُثَلُّ المُقَرَّب: ٢٧٩ .
- ٧٤) ينظر: دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة: الأزهر الزناد، ط ١، المركز الثقافي العربي - بيروت، ١٩٩٢: ١٤١ .
- ٧٥) ينظر: م. ن: ١٤٢ .
- ٧٦) ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين: عودة خليل أبو عودة، ط ١، دار البشير - عمان، ١٩٩١: ٤٨٩ .
- ٧٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٤٢ - ٤٣ .
- ٧٨) ينظر: البلد الأمين والدرع الحصين: ٤٤٩ - ٤٥٣ .
- ٧٩) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٣٧ .
- ٨٠) ينظر: الكشف: ١٠٩١٤ .
- ٨١) ينظر: دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة: ١٤٢ .
- ٨٢) ينظر: المُقَرَّب ومعه مُثَلُّ المُقَرَّب: ٢٧٩ .
- ٨٣) ينظر: دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة: ١٤٢ .
- ٨٤) ينظر: مكارم الأخلاق: رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، د.

أ.م.د. ميثاق عباس الحفاجي - م.م. رويدة حسين كامل

ط، مكتبة الالفين- الكويت، د.ت: ٤١٦.

٨٥) الصحيفة الرضوية الجامعة: ٤٠

قائمة المصادر والمراجع:

- أمر. ط ١.
- *محب الدين، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي (٦١٦هـ). .
- ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م. الباب في علل البناء والإعراب: تح. د. عبد الإله النبهان، دمشق: دار الفكر. ط ١.
- *الانصاري، آبن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور) (ت٧١١هـ). د. ت. لسان العرب: تح. عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله. هاشم محمد الشاذلي. القاهرة: دار المعارف. د. ط.
- *بوقرة، نعمان. د. ت. لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء: بيروت: دار الكتب العلمية. ط ١.
- *لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، ط ١، المركز الثقافي العربي - بيروت، ١٩٩١.
- *مداس، أحمد. ٢٠٠٧. لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري: إربد - الأردن: عالم الكتب الحديث. د. ط.
- *حمداوي، جميل. ٢٠١٥. محاضرات في لسانيات النص: اللوكة للنشر. ط ١.
- *أبو غزالة، د. الهام وآخرون. ١٩٩٢. مدخل إلى علم لغة النص: مركز نابلس - مطبعة دار الكاتب. ط ١.
- *الكفعمي، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح العاملي. ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. مصباح الكفعمي (جنة ١٣٧٨هـ. عيون اخبار الرضا: قم: مطبعة
- القران الكريم
- *الجياي، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي. د. ت. ألفية ابن مالك: أبو عبد الله جمال الدين (٦٧٢). د. ط.
- *الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (٧٩٤هـ). ١٩٩٠. البرهان في علوم القرآن: تح. يوسف عبد الرحمن. جمال حمدي. إبراهيم عبد الله الكردي. بيروت: دار المعرفة. ط ١.
- *أبو عودة، عودة خليل. ١٩٩١. بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين: عمان: دار البشير. ط ١.
- *المالكي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري. (٧٤٩هـ)، د. ت. الجنى الداني في حروف المعاني: د. ط.
- *الزناد، الأزهر. ١٩٩٢. دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة: بيروت: المركز الثقافي العربي. ط ١.
- *الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ). ٢٠٠٦. سير اعلام النبلاء: ١٤ / ٢٥١. القاهرة: دار الحديث. د. ط.
- *الفتحي، صبحي إبراهيم. ٢٠٠٠. علم اللغة النصي: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. ط ١.
- *كريستيفا، جوليا. ١٩٩١. علم النص: تر. فريد الزاهي. المغرب: دار توبقال للنشر. ط ١.
- *القمي، الشيخ أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت٣٨١هـ). ١٣٧٨هـ. عيون اخبار الرضا: قم: مطبعة

- الامان الواقية وجنة الايمان الباقية): بيروت - لبنان: مطبعة النعمان. (د. ط).
- *درنيقة، محمد أحمد. د. ت. معجم أعلام شعراء المدح النبوي: ١/٤١. د. ط.
- *فتحي، إبراهيم. د. ت. معجم المصطلحات الأدبية: صفاقص - تونس: التعااضدية العمالية للطباعة والنشر. ط ١.
- *الدمشقي، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبدالغني كحالة (١٤٠٨هـ). د. ت. معجم المؤلفين: د. ط.
- *الطبرسي، رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨ هـ). د. ت. مكارم الأخلاق: الكويت: مكتبة الالفين. د. ط.
- *عفيفي، أحمد. ٢٠٠١. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: القاهرة: مكتبة زهراء الشرق. ط ١.
- *أبو زنيد، عثمان. ١٤٢١هـ. نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: الأردن: عالم الكتب. ط ١.
- *الجراح، هاشم. ٢٠٠٦. نحو النص وتطبيقاته على نماذج النحو العربي: مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية إربد- الاردن: م ٣٣. ع ١.
- *الزناد، د. الازهر. ١٩٩٣م. نسيج النص: بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً: المركز الثقافي العربي. ط ١.
- *دي بو جراند، روبرت. ١٩٩٨. النص والخطاب والاجراء: تر. د. تمام حسان.
- القاهرة. عالم الكتب. ط ١.
- *- الأطاريح والرسائل الجامعية *حسين، محمد منصور. ٢٠١٣. الاتساق النحوي والمعنى (كلام الزهراء ع) نموذجاً: رسالة ماجستير.
- *موسى، هناء دادة، ٢٠١٥. الاتساق والانسجام ومظاهرها في قصيدة (بطاقة هوية) لمحمود درويش: رسالة ماجستير.
- *عبد براك، أيناس. ٢٠١٧. أثر القرائن العلائقية في اتساق النص في نهج البلاغة خطب الحروب انموذجاً: مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية. كربلاء - العراق. ط ١.
- *سلمان، محمود. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ودراسة نصية من خلال سورة يوسف: رسالة ماجستير.
- * جدرة، يمينة. ٢٠١٤. الاتساق النصي في الخطاب الادبي قصة (الطائر الذي نسي ريشه) للقاص زياد علي الليبي: رسالة ماجستير.
- *جاهمي، آمنة. ٢٠١٢. آليات الانسجام النصي في خطب مختارة من مستدرک نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء: (رسالة ماجستير).
- *حمودي، شعيب. ٢٠١٠. بنية النص في سورة الكهف مقارنة نصية للاتساق والسياق: رسالة ماجستير.
- *الحوالدة، فتحي رزق. ٢٠٠٥. تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في

- ديوان أحد عشر كوكبا: رسالة ماجستير.
- *نزار مسند ومحمود سليمان، ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة قميصنا البالي للشاعر (سميح القاسم).
- *عرباوي، محمد. ٢٠١١. دور الروابط في اتساق واسجام الحديث القدسي دراسة تطبيقية في صحيح الأحاديث القدسية للشيخ مصطفى العدوي: جامعة الحاج لخضر باتنة - الجزائر. البحوث والدوريات
- *عباس، تحسين فاضل. ٢٠١٥. الاتساق الدلالي في قصيدة العشاء الاخير: مجلة دراسات الكوفة. ع ٣٦.
- *سعدية، نعيمة. ٢٠٠٩. الاتساق النصي في التراث العربي: بحث منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية. جامعة محمد خيضر - بسكرة، الجزائر. ع ٥.
- *بشار، إبراهيم. ٢٠١٠. الاتساق في الخطاب الشعري من شمولية النصية إلى مفهومية التجربة الشعرية: بحث منشور في مجلة المخبر في اللغة والادب الجزائري-جامعة محمد خيضر - بسكرة، الجزائر. ع ٦.
- *عبد الفتاح، خليل. حسين راضي العابدي. ٢٠١٢. أثر العطف في التماسك النصي في ديوان على صهوة الماء للشاعر مروان جميل محسن (دراسة نحوية دلالية): بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية للبحوث الانسانية. جامعة الأقصى - غزة. م ٢٠٠ ع ٢. يونيو.